«سيد قطب».. الأب الروحي للإرهاب.. والقطبيون قادوا الجماعة إلى حتفها

(القطبية) تركت أفكارها الظلامية والدموية داخل عقول (80 ٪) من مكتب الإرشاد

إعداد / وحدة المعلومات

قبل انضمامه إلى جماعة الإخوان، كان الرجل شاعراً وناقداً أدبياً ومصلحاً اجتماعياً ومفكراً، وبعد عودته من بعثته الدراسية، فى الولايات المتحدة الأمريكية، وانضمامه للجماعة تحول من إلى مفت للموت، ومن مفكر إلى مكفر، إنه «سيد قطب»، الذى أفرزت أفكاره عن الحاكمية والجاهلية، التنظيم القطبي والعديد من الجماعات الإسلامية الجهادية، وجماعات التكفير والهجرة، كما أن تنظيم القاعدة، رغم نسبته للسلفية الجهادية، إلا أن معظم قادته قطبيون ويتبنون الأفكار القطبية.

بدأ سيد قطب مرشداً فكرياً لثورة يوليو، ومستشارا لها فى شئون التعليم وانتهى فيها محكوماً عليه بالسجن على ذمة قضية الإخوان 1954، هو مؤلف كتاب «معالم فى الطريق» الذى وصف فيه المجتمعات الإسلامية التى لا تطبق الشريعة، كما يراها هو، بأنها مجتمعات جاهلية، وأن حكامها وأهلها كفار، كما رسخ سيد قطب،أيضا فى هذا الكتاب، لفكرة الحاكمية الإلهية واعتبر أن من يطبقون القوانين الوضعية ينافسون الإله سبحانه وتعالى فى حكمته وحكمه، فقد كان هذا الكتاب الذى صمم قطب على نشره بياناً تكفيرياً واضحاً، كما أنه انقلاب جذري خطير فى المفاهيم، انقلاب قضى على حرية الإنسان ووضعه فى عداء مع مجتمعه وأعاد السياسة- الصراع على سلطة الدولة- إلى جوهر الصورة بشكل غير مسبوق فى تاريخ الفكر الإسلامي المصري، وإن كانت له سوابق فى الفكر الإسلامي الحديث، وبعد نشر الكتاب بعام كان سيد قطب يحاكم متهماً بأنه ترأس تنظيمًا إخوانيًا أعد لاغتيال رئيس الجمهورية، وتفجير القناطر الخيرية والتجهيز لانقلاب مسلح، والترويج لأفكار تكفيرية، وضمت قائمة المتهمين مع سيد قطب محمد بديع المرشد الحالى للجماعة، ومحمود عزت نائب المرشد العام ورمز القطبيين القوي، وجمعة أمين، ورشاد بيومى، وما يقرب من 80 % من أعضاء مكتب الإرشاد الحالي، كانت علاقتهم الأولى بالإخوان وبالسجون من خلال سيد قطب الذى ترك أفكاره الظلامية والدموية داخل عقولهم.

والأفكار التى يرتكز عليها التنظيم القطبي، أن المجتمعات المعاصرة مجتمعات جاهلية بما فيها المجتمعات الإسلامية، كفر الحكومات القائمة فى بلاد المسلمين، عدم جواز المشاركة فى الحكم أو ممارسة العمل السياسي فى ظل الحكومات الكافرة، وجوب جهاد الحكومات الكافرة، رفض الدعوة العلنية وتفضيل نهج التنظيم المغلق، وتكفير حب الوطن.

ولأن المجتمع المسلم، فى رأي «قطب»، هو الذى يُحكم بالشريعة وليس الذى يتكون من أفراد مسلمين، وصل صاحب «معالم على الطريق» إلى نتيجة خطيرة هى أن المجتمع المعاصر جاهلي فيقول فى كتابه: «نحن اليوم فى جاهلية كالجاهلية التى عاصرها الإسلام أو أظلم، كل ما حولنا جاهلية، تصورات الناس وعقائدهم، عاداتهم وتقاليدهم، موارد ثقافتهم، فنونهم وآدابهم، شرائعهم وقوانينهم، حتى الكثير مما نحسبه ثقافة إسلامية، ومراجع إسلامية، وفلسفة إسلامية، وتفكيرا إسلاميا، هو كذلك من صنع هذه الجاهلية».

وكان يرى قطب للقضاء على هذه الجاهلية لابد من تكوين «العصبة المؤمنة» وهي الجماعة من المؤمنين المتبنين بشكل كاملا لفكرة ومنهاج حاكمية الله، وعند نقطة معينة من التمكين، يجب أن تمارس هذه العصبة الجهاد لتحقيق حاكمية الله على الأرض، وهو ما يعني، عمليا، الاستيلاء على سلطة الدولة كنقطة بداية لبناء المجتمع والقضاء على الجاهلية، وكما يقول فى كتابه معالم فى الطريق فى فصل «الجهاد فى سبيل الله»: «والذى يدرك طبيعة هذا الدين يدرك معها حتمية الانطلاق الحركى للإسلام فى صورة الجهاد بالسيف- إلى جانب الجهاد بالبيان- ويدرك أن ذلك لم يكن حركة دفاعية- بالمعنى الضيق الذى يفهم اليوم من اصطلاح الحرب الدفاعية كما يريد المنهزمون أمام ضغط الواقع الحاضر».

وقد التقى فكر قطب فى منتصف الستينيات مع جسد تنظيمى جديد يحاول أن يجد لنفسه طريقا فى مواجهة النظام الحاكم، فيحكي المؤرخ شريف يونس أنه فى 1963، وصلت كتابات سيد قطب إلى اثنين من قيادات تنظيم سري للإخوان خارج السجون، وبحلول عام 1964، تكونت مجموعة من قادة شباب الإخوان، تدعو للفكر القطبي نجحت فى اجتذاب غالبية مسجوني سجن القناطر الشباب، فتوسع التنظيم ليضم أكثر من مائتى شخص، ومع خروج قطب من السجن فى مطلع 1965 تولى قيادة التنظيم الناشئ على غير علم من قيادات جماعة الإخوان، فقد كان قطب نفسه يتصور أن ما يقوم به هو إعادة تسليح فكرى لجماعة الإخوان، وليس انشقاقا على الجماعة.

■ حسن البنا

بيد أن إعدام قطب لم يضع نهاية للقصة، فقد كانت أفكاره تجد طريقها إلى الانتشار حتى أصبحت هي الأساس الفكري الأهم لحركة الإسلام الجهادي التى طفت على سطح المجتمع ولعبت دورا كبيرا فى حياته فى سنوات السبعينيات وما بعدها.

إن تاريخ جماعة الإخوان- باستثناء السنوات الست التى قضاها عمر التلمسانى مرشداً للجماعة والتى استقطب خلالها عدداً من شباب الجماعة الإسلامية لعضوية الإخوان مثل عصام العريان وعبد المنعم أبوالفتوح وحلمي الجزار وإبراهيم الزعفراني وأبو العلا ماضي، ومحمد حبيب- يؤكد على أنها أصبحت جماعة قطبية، وأن السيطرة كانت للقطبيين، فقد كان هناك جيلان من «السريين» داخل الجماعة، الجيل الأول هو جيل الآباء، وهم مجموعة النظام الخاص ورمزهم «مصطفى مشهور» المرشد السادس للجماعة، وجيل الأبناء أو مجموعة القطبيين الذين انضموا للجماعة بعد موت حسن البنا ولم يعرفوا أباً روحياً وفكرياً لهم سوى سيد قطب، وعلى رأسهم الدكتور محمد بديع، المرشد الحالي للجماعة.

فرسائل «التلمساني» إلى قيادات الإخوان فى الخارج وعلى رأسهم الدكتور يوسف القرضاوى فى منتصف السبعينيات من القرن الماضي يحذرهم فيها من التعامل مع تنظيم «العشرات» وهم الذين يمثلون مكتب الإرشاد حاليا، أما تسميتهم بتنظيم العشرات فذلك نسبة الى قضائهم 10 سنوات فى السجون المصرية من عام 1965 الى عام 1975، حيث قال التلمساني فى رسائله «أن هؤلاء ليسوا من الإخوان»، فقد خرج أعضاء هذا التنظيم وكان على رأسهم المرشد الحالي الدكتور محمد بديع، وأعضاء مكتب الإرشاد الحالي رشاد البيومي، ومحمود عزت، خرجوا من السجون المصرية فى تلك الفترة وغادروا مصر الى دول عربية وكان هؤلاء أبرز تلاميذ الشيخ «سيد قطب» والذين اعتمد عليهم الأخير فى تأسيس تنظيم القطبيين، وهذا ما كشفة الدكتور ثروت الخرباوى فى كتابه « قلب الإخوان».

كان هؤلاء قد اجتمعوا فى نسيج واحد مع أفراد التنظيم الخاص وأصبح مرشدهم الحقيقى وقتها «بديع» و«عزت» وأصحابهم، و«مصطفى مشهور» الراعي الرسمي لهم وحينما خرجوا من سجونهم أرسلهم مشهور للعمل فى كثير من البلاد العربية، وقتها خشي عمر التلمساني المرشد الثالث للجماعة من اندماج تلك المجموعات مع أفراد جماعة الإخوان بالخارج، اذ قد يظن أعضاء الجماعة بالخارج من خلال توصيات مصطفى مشهور أن هؤلاء من الإخوان أصحاب الدعوة، أو من الذين تربوا على يد حسن البنا، فى حين أنهم من تلاميذ سيد قطب فأرسل التلمساني رسالة مهمة إلى الإخوان فى كل الدول العربية وقال لهم فيها «احذروا من تنظيم العشرات لأنهم ليسوا من الإخوان».

وفقاً لهذا التحليل فإن صعود نجم كل من محمد حبيب وخيرت الشاطر طوال سنوات التسعينيات لم يكن صدفة، فمحمد حبيب أستاذ من أسيوط ضمه التلمساني لعضوية الجماعة ولفت الأنظار حين فاز برئاسة نوادي التدريس فى جامعات مصر وقبلها بعضوية مجلس الشعب، كان أداؤه أقرب لمجموعة السبعينيات داخل الجماعة لكنه أبدا لم يكن منهم، وكان خيرت الشاطر على العكس تماماً كان يسارياً سابقاً وقيادياً فى منظمة الشباب اكتسب خبرة التنظيمات السرية قبل أن ينضم للإخوان فى 1972 ويسافر لدراسة الهندسة فى الخارج ويعود بأفكار اقتصادية ناجحة أبهرت الإخوان وأضافت لأرصدتهم الكثير، كان خيرت الشاطر بتكوينه، وميله للصمت، وبراعته فى إحكام أدوات السيطرة وحبك الخطط أقرب لجماعة القطبيين رغم أنه أيضاً لم يكن منهم!

تقول التحليلات إن عودة الإخوان الذين هاجروا للخليج بثروات كبيرة فى التسعينيات دعمت موقف الشاطر الذى كانت لديه الأفكار والخطط لاستيعاب الأموال العائدة وأنه سرعان ما تآلف مع محمود عزت كبير الكهنة كما يصفه معارضوه بحيث أصبح خيرت هو «المخ» وعزت هو «العضلات»، لكن هذا لم يمنع تعايش القطبيين مع تيار الأداء الإعلامي الذى استمر طوال فترة المرشد السابع محمد مهدي عاكفاً بناء على رغبته وتشابهه مع التيارين فى نقاط مشتركة، فهو من الجيل الذى جنده حسن البنا.

ولكن فى بدايات عام 2010 أعلن القطبيون نهاية عصر المشاركة، ليصبح محمد بديع المرشد الثامن للجماعة، ويزعزع هذا التوازن الذى حرص عليه كهنة الجماعة ومرشدوها المتعاقبون، فبعد الضغط على «مهدي عاكف» لم يكن أمامه سوى أن يتنحى وأن يعلن أن 13 يناير 2010 هو آخر يوم له فى ممارسة مهامه، وكان من الطبيعي أن يحل محله نائبه محمد حبيب لمدة ستة أشهر هى مدة ولاية مجلس شورى الإخوان، خاصة أن نائب المرشد الآخر خيرت الشاطر يقضي عقوبة السجن فى قضية الاستعراض العسكري، لكن القطبيين قرروا إجراء الانتخابات مباشرة بعد استطلاع رأي مجلس الشورى الذى رفض ثم وافق تلبية لرغبة محمود عزت، وتمت الانتخابات ليجد محمد حبيب نفسه خارج كل شيء، ويخرج عبد المنعم أبوالفتوح من عضوية مكتب الإرشاد، وينجح عصام العريان بمفرده كواحد من 16 عضوًا فى مكتب الإرشاد وسط اتهامات من زملائه بأنه عقد صفقة أو قدم تنازلاً لم يكن ينبغى له أن يقدمه، وعلى خلاف ما توقع الكثيرون فلم يحدث انشقاق حقيقى فى صفوف الجماعة ليس فقط لأن التيار الذى هزم لا يملك نفوذاً تنظيميًا حقيقيًا داخل الجماعة التى يتحكم الشاطر فى تمويلها وعزت فى قوائم عضويتها، ولكن أيضا لأن نمط العضوية فى الإخوان يجعل الخروج منها بمثابة موت معنوي ومادي واجتماعي لأعضائه، لذلك يفضل أعضاء الفريق المهزوم غالباً أن يبقوا فى حالة «كمون» حتى تتغير الظروف، وهو ما فعله عبدالمنعم أبوالفتوح وآخرون بالضبط، حتى جاءت ثورة يناير، وبدأت بعض التوجهات المخالفة للقطبيين داخل الجماعة فى الانشقاق عنها.

أبناء سيد قطب طول السنوات الماضية يحاولون صياغة مناهج التربية داخل الجماعة، وهم لا يقولون للقواعد الإخوانية إن المجتمع كافر لكنهم يربونهم على أن المسلمين من غير الإخوان أقل فى درجة الإيمان وأن المسلم الإخوانى أفضل من أى مسلم آخر وأن مصلحة الجماعة فوق مصلحة المجتمع فى حين يؤكد المرشد الثامن «محمد بديع» أن المرأة والقبطى لا يصلحان لرئاسة الدولة وأنه ليس من حق الناس أن يقرروا أمراً يتعارض مع الشارع، كما أعلن، فى تصريحات شهيرة نشرت فى 2010، أن المجتمع «ملىء بالنجاسة» وإن الإخوان يحملون ماء «السماء الطهور» الذى سيطهر المجتمع، واصفا الأب الروحي للتكفير«سيد قطب» بأنه مصلح عظيم، وهذا ما دفع واحدا من أعضاء الجماعة المنشقين مثل أبو العلا ماضي لأن يصرخ قائلا إن أعضاء الجماعة الذين يربيهم القطبيون الآن سيتحولون إلى قنابل موقوتة تنفجر فى وجه المجتمع خلال سنوات، وهو ما حدث فى 30 يونيو من سقوط لجماعة الإخوان، ومحاولتها لإثارة الفتن والقتل، وما يقوم به أتباعهم وأصحاب الفكر القطبى ذو المرجعية السلفية من الجهاديين والإرهابيين من قتل فى سيناء.. فما الحل مع جماعة لاتريد أن تجد لنفسها أي حل؟.

محمد بديع :

المجتمع «ملىء بالنجاسة» والإخوان يحملون «ماء السماء الطهور» الذى سيطهر المجتمع

أعضاء الجماعة الذين يربيهم القطبيون الآن سيتحولون إلى قنابل موقوتة تنفجر في وجه المجتمع

› عمار علي حسن

نصيحة للإخوان والسلفيين

طرحت مرة سؤالا افتراضيا يقول: ماذا لو كان حسن البنا قد وجه جماعته لتعريف الناس خارج العالم الإسلامى بديننا؟ وتخيلت موقع جماعته بعد نحو تسعة عقود من أداء هذه المهمة، فوجدتها على أكتاف كل المسلمين، وقد فتحت لها الأبواب على مصراعيها، وأمدها الناس بأغلى ما يملكونه.

«البنا» نفسه قال بعد أن تورط التنظيم الخاص فى حوادث اغتيالات: «لو استدبرت من هذا الأمر ما استقبلت لعدت بالإخوان إلى زمن المأثورات» لكن كان القطار قد فات محطته، وانجرفت جماعته إلى غواية الصراع على السلطة، فكانت النتيجة التى هى أمامنا الآن. والمؤسف أن الجماعة لو أرادت الآن أن تعود إلى الدعوة فلن يصدقها أحد. والغريب أن التيار السلفى يسير فى الطريق ذاته الذى سلكه الإخوان، رغم أنه كان يقول عنهم دوما: لقد أضلتهم السياسة، رغم أن وصول الإخوان إلى الحكم وحيازتهم والسلفيين للبرلمان لم تؤد إلى تعزيز الإسلام، بل زاد عدد الملحدين فى مصر.

وقبل سنوات كتبت: «بوسع «الإسلاميين» أن يقدموا للسياسة ما هو أفضل، وأكثر نفعا، من مجرد انتظار الحكم، أو التوسل بأدوات عدة للقفز إليه، وبإمكانهم فى الوقت نفسه أن يقدموا للدين ما يحفظ له جلاله وقدسيته، ويبعده عما ألقته الممارسة السياسية على كاهله من أعباء جسام طيلة التاريخ الإسلامى، فيحققوا لأمتهم ما تحتاجه بالفعل، ولأنفسهم ما يقيهم من تغول مناوئيهم، وشرور المغرضين منهم، الذين يستخدمون الدين فى تحقيق مآربهم الشخصية، دون لوم، أو ورع».

ومرت الأيام، ووصل الإخوان بالفعل إلى الحكم بعد انتظاره، فما كانت النتيجة؟

فالسياسة تبدو فى خطاب الإخوان ونظرائهم دائرة فى فلك «القوة الصلبة» أو «الخشنة» التى تعنى الاهتمام بالركائز العسكرية والاقتصادية للقوة. ومن ثم سعت «الجماعات والتنظيمات السياسية ذات الإسناد الإسلامى» إلى امتلاك هاتين الركيزتين، فكونت تنظيمات سرية، دجتها بالسلاح، وقوّت ساعدها بالتدريب القتالى، لتدخل فى مواجهة دموية مع الأنظمة الحاكمة. وعلى التوازى دخلت هذه الجماعات إلى عالم المال، لتستزيد منه، وتوظفه فى خدمة أهدافها السياسية، فبدت بذلك خصما من رصيد مجتمعاتها وليست إضافة إليه.

أما لو ركزت هذه الجماعات على تحصيل «القوة الناعمة» أو «السلسلة» فى جانبها المتصل بتعزيز التماسك الأخلاقى للجماعة، وتحقيق الامتلاء الروحى للأفراد، وإبراز ما فى جوهر الإسلام من قيم إنسانية حياتية إيجابية، وما أكثرها وأعمقها، لبدت فى هذا إضافة إلى مجتمعاتها، لأنها ستوفر لها رموزا وأشياء هى فى أشد الحاجة إليها فى الوقت الراهن، بل إنها ستسهم فى تعزيز وزن العالم الإسلامى فى النظام الدولى، الذى تمتلك القوة الكبرى فيه من الموارد الصلبة للتفوق الكثير، حيث الآلة العسكرية الجبارة والاقتصاد الضخم، لكن ينقصها التماسك الأخلاقى والطاقة الروحية، حسبما يصف علماء السياسة الأمريكيون بلادهم.

لقد ضيع الإسلاميون وقتا طويلا فى الهرولة وراء السياسة فى أبعادها العليا، الملاصقة تماما لظاهرة السلطة، مع إهمال دائم للجوانب «القاعدية» للممارسة السياسية، والمتصلة بالموارد الناعمة للقوة، من سلطان المعرفة وجلال الطاقة الروحية، والتمسك بالفضائل الاجتماعية، والقيم العظيمة التى يرسخها الدين الإسلامى. وطيلة هذا الوقت يدفع من يرفعون من الإسلام شعارا سياسيا ثمن تصورهم المنقوص، ويخسر الدين نفسه مساحات يمتلك بنصه المقدس أن يملأها، فتزداد فاعليته فى الحياة.

سيردون على هذا بالطبع: الإسلام دين ودولة، وأقول لهم، دين نعم، دولة لا، لأن الدين باق، والدول تنشأ وتزول، والقرآن الكريم لم يخاطب الرسول إلا بوصفه نبيا ورسولا وبشرا، وليس كما خاطب سيدنا سليمان بوصفه نبيا وملكا. وينسى الإخوان وأتباعهم أن أبا سفيان حين قال لعم النبى: إن ملك ابن أخيك غضب منه وقال: ليس ملكا يا أبا سفيان إنما هى النبوة. قاتلهم الله، حتى يبرروا ما فعلوه على مدار أربعة عشر قرنا، أعادوا صياغة حياة الرسول وسيرته وصورته بما يتوافق مع رغبة سادة الملك العضوض، فجعلوا حروبه الدفاعية العادلة غزوات، أى حروب هجومية حتى يكونوا الإمبراطورية، وجعلوا من ثقة المسلمين فيه ليفصل بينهم مهمة حاكم أو سلطان، ولو كان الأمر دولة لا دعوة، لكلف عليه الصلاة والسلام أبا بكر أن يحكم الناس من بعده وليس ليؤمهم فى الصلاة، وتكليفه لصاحبه بهذا يعنى ببساطة أنه يقول لنا: تركت لكم دعوة لا دولة، فأفيقوا أيها الغافلون.